الآراء التفسيرية عند الإمام الملاحمي في كتابه "الفائق في أصول الدين"

د. ناجي التكوري — Dr. Naji Takouri
قسم: التفسير — Department: Tafsir
كلية: الدعوة وأصول الدين — College: Da'wah and Fundamentals of Religion
الجامعة الأسمرية الإسلامية — Alasmarya Islamic University
الدولة: ليبيا — State: Libya
البريد الإلكتروني: najefaraj1979@gmail.com

تاريخ تسليم البحث للمجلة: 2023/07/04م – تاريخ قبول البحث 2023/07/24م

ملخص البحث: تكمن فكرة البحث في إبراز الآراء التفسيرية عند أحد كبار علماء المعتزلة وهو الإمام الملاحمي _ رحمه الله_ من خلاله كتابه (الفائق في أصول الدين) الذي يُعدّ من أهم مؤلفاته، مع بيان منهجه الذي سلكه في عرض المسائل الفكرية والعقدية. كما يهدف البحث إلى إبراز شخصية الإمام الملاحمي المغمورة ، رغم أنه يُعدّ من كبار رجالات المعتزلة ومن علماء الأصول المعتبرين ،لكنه لم يعرف بوصفه مفسراً للقرآن الكريم. بالإضافة إلى إحياء تراث المعتزلة وبيان منهجهم الذي ساروا عليه والإفادة منه إفادة كاملة. وقد توصل البحث إلى نتائج من أهمها: يُعدّ الملاحمي من أعلام المعتزلة الكبار الذين حافظوا على مدرسة الاعتزال بعد وفاة أبرز شيوخها وهو القاضي عبد الجبار الهمداني ،حيث ساهم في إحياء مدرسة الاعتزال وازدهارها طوال القرن السادس الهجري – لابد من إحياء منهج المعتزلة والبناء عليه والاستفادة منه بالقدر الممكن والحذر مما يُعرض عندهم من آراء وأفكار مخالفة – إحياء التراث الفكري للأعلام المغمورين يُعدّ من أهم الأعمال العلمية في مجال البحث العلمي.

Abstract
The idea of the research lies in highlighting the explanatory opinions of one of the great Mu'tazila scholars, Imam Al-Malahami - may God have mercy on him - through his book (Al-Fa'iq fi Usool Al-Din), which is one of his most important books, with an indication of his approach in presenting intellectual and doctrinal issues.The research also aims to highlight the obscure personality of Imam Al-Malahmi, although he is considered one of the great men of the Mu'tazila and one of the respected scholars of fundamentals, but he was not known as an interpreter of the Holy Quran. In addition to reviving the heritage of the Mu'tazila and explaining their approach that they followed and making full use of it. The research reached results, the most important of which are:
• Al-Malahami is considered one of the great Mu'tazila scholars who preserved the Mu'tazila school after the death of its most prominent sheikh, Judge Abd al-Jabbar al-Hamdani, as he contributed to the revival and prosperity of the Mu'tazila school throughout the sixth century AH.
• It is necessary to revive the Mu'tazila approach and build on it and benefit from it as much as possible, and beware of what is presented to them in terms of opinions and ideas that differ.
• Reviving the intellectual heritage of the unknown scholars is one of the most important scientific works in the field of scientific research.

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فمن نعم الله تعالى على عباده المؤمنين أن يسَّر لهم علماء أجلاء يتشرفون بخدمة كتاب الله تعالى، ويُعنون بتعلمه وتعليمه وشرحه وتفسيره، وإن من العلماء من كان له جهد يذكر مع القرآن وتفسيره وبيان الأحكام المتعلقة به في ثنايا

كتبهم المتفرقة دون أن يكون لهم جهد خاص في تفسير القرآن، ومن هؤلاء العلماء الإمام محمود الملاحمي- رحمه الله- (ت:536هـ)، إذ لم يصل إلينا مؤلف له مستقل في التفسير إلا أن له آراء ومسائل كثيرة في التفسير تعرض لها من خلال بعض الكتب التي ألفها، ومن أبرز هذه الكتب وأهمها "الفائق في أصول الدين"، إذ ظهر فيه اعتناؤه بكثير من الآيات تفسيراً واستنباطاً وتحليلاً، من هنا جاءت فكرة البحث

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في إبراز الآراء التفسيرية عند الإمام الملاحمي من خلال أهم كتبه وهو "الفائق في أصول الدين" مع بيان المنهج الذي اتبعه في عرض المسائل والأفكار.

أهداف البحث:

1- التعرف على الإمام الملاحمي الذي يُعدّ من أعلام المعتزلة الكبار الذين حافظوا على مدرسة الاعتزال بعد وفاة أبرز شيوخها وهو القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني (ت:415هـ)، حيث ساهم في إحيائها وازدهارها طوال القرن السادس الهجري، بل إن تأثير الملاحمي الفكري امتد حتى بعد القرن السادس الهجري، حيث ساعد بصورة فاعلة ونشطة على استمرار حركة الاعتزال حتى بعد رحيل الزعماء الكبار في القرن الخامس الهجري. لقد كانت الفترة التي عاش فيها الملاحمي من الفترات المشرقة في حياة المسلمين من حيث العلم والمعرفة، بل إنها تعد-تاريخياً-العصر الذهبي الذي قاد فيه المسلمون الحضارة الإنسانية طوال ما يربو على ستة قرون، ولقد احتل الملاحمي-زمنياً- النصف الأخير من القرن الخامس الهجري، ثم امتد به العمر حتى عام536هـ، هذه الفترة ازدهرت فيها العلوم العملية والنظرية على حد سواء.

2- الاستفادة من منهج المعتزلة في التفسير، والتعرف على أهم آليات التفسير عندهم.

3- إحياء تراث اللائمة المغمورين والاستفادة من نتاجهم العلمي وخاصة فيما يتعلق بعلم التفسير.

أهمية الدراسة:

1- إبراز شخصية الإمام الملاحمي المغمورة، رغم أنه يُعدّ-كما أسلفتُ سابقاً - من كبار رجالات المعتزلة، ومن علماء الأصول المعتبرين.

2- إحياء تراث المعتزلة الذين أعطوا للعقل مكانة كبيرة في فهم النصوص الدينية وتأويلها، ولهذا فإن المعتزلة قد قدمت لنا رؤية منهجية ينبغي إحياؤها والبناء عليها، بغض النظر عما قالته من قبل، لكن الأهم هو المنهج الذي نهجته والذي ينبغي أن نفيد منه إفادة كاملة.

ولا ترجع أهمية المعتزلة إلى نزعتها العقلية فحسب ولا إلى دورها البارز في علم الكلام؛ بل إلى مكانتها في الحضارة الإسلامية إبان ازدهارها، فقد كانوا أشد المدافعين عن الإسلام فكراً وجدلاً ضد أصحاب الديانات الأخرى فضلاً عن الزنادقة والملحدين.

الدراسات السابقة:

لا توجد دراسات خاصة بالإمام الملاحمي – حسب اطلاعي – تعنى بدراسة الآراء التفسيرية عند الإمام الملاحمي باعتباره لم يعرف عند أغلب العلماء بوصفه مفسراً لكتاب الله تعالى له في تفسيره باع طويل؛ بل ورؤية خاصة لا يضاهيه فيها كبار المفسرين المشهورين.

أسباب اختيار الموضوع :

1- الاهتمام بتراث المعتزلة ومنهجها الفكري والاستفادة منه، وإبراز مناهج التفسير التي سلكها كبار علمائهم

2- التعرف على أدوات التفسير عند مفسري المعتزلة والقرائن التي اعتمدوا عليها في تفسيرهم لكتاب الله.

3- المساهمة في إضافة جديدة لتفاسير المعتزلة بشكل خاص وللمكتبة التفسيرية بشكل عام.

منهج البحث:

اتبعتُ في هذا البحث المنهج التحليلي والاستقرائي.

خطة البحث:

قسمته إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة وذلك على النحو التالي:

المبحث الأول: التعريف بالإمام الملاحمي وكتابه الفائق: ويندرج تحته مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالإمام الملاحمي.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب "الفائق في أصول الدين".

المبحث الثاني: أبرز الآراء التفسيرية للإمام الملاحمي: ويندرج تحته المطالب التالية:

المطلب الأول: نفي رؤية الله في الآخرة.

المطلب الثاني: خلق القرآن.

المطلب الثالث: المنزلة بين المنزلتين.

خاتمة.

وفي الختام أسأل الله الذي جلت حكمته ووسعت رحمته كل شيء أن يمنّ علينا بالإخلاص والقبول إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❁❁❁

المبحث الأول: التعريف بالإمام الملاحمي وكتابه "الفائق"

المطلب الأول: التعريف بالإمام الملاحمي.

الحديث عن الملاحمي حديث شائك؛ لأن المعلومات المتوافرة عن هذه الشخصية الكبيرة معلومات شحيحة للغاية، هذا إلى جانب أن هذه المعلومات المتداولة في بعض كتب المؤرخين والمفكرين تكاد تكون مكررة، وهذا يشكل صعوبة كبرى أمام الباحث عن السيرة الشخصية للملاحمي، ويكاد يكون ثمة إجماع بين المؤرخين على عدم وجود أساتذة مباشرين للملاحمي، بحيث يستطيع الباحث أن يتتبع الخط الفكري له من خلال هؤلاء الأساتذة المباشرين، كما أن عدم وجود تلاميذ كبار له قد ألقى بظلاله أيضا على الوقوف بعمق على أعمال الملاحمي ومدى أصالتها وطرافتها[1].

(1) ينظر المقدمة التي كتبها محقق كتاب "الفائق" د. فيصل عون، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، 2010، ص5.

وقد ذُكِرَ في ترجمته أن الاسم الكامل للملاحمي هو:" ركن الدين محمود بن محمد بن الملاحمي الخوارزمي"، وقيل كذلك عنه إنه: "ركن الدين محمود الأصولي الملاحمي" وقيل عنه أيضا إنه:"الشيخ النحرير محمود بن الملاحمي"[1].

وإذا كانت بعض الألقاب أطلقت على الملاحمي أنه أصولي فلعل ذلك يرجع إلى اشتغاله بعلم أصول الدين- علم الكلام- وتأليفه لكتابه "المعتمد في أصول الدين" الذي لاقي قبولاً واشتهر عند علماء المتكلمين، وكثرت المطالبات للملاحمي باختصاره لطول الكتاب ولأنه شق على كثير من الراغبين فيه كتابته وتحصيله، فاختصره ولخصه في كتاب متوسط الحجم وسماه "الفائق في أصول الدين" وأضاف فيه موضوعات مهمة لم يشر إليها في كتابه "المعتمد"، وأصبح كتاب "الفائق" هو الأشهر في كتب الإمام الملاحمي[2].

ويُعدُّ الملاحمي من كبار رجالات المعتزلة، وقد ذكره ابن المرتضى ضمن نجوم الطبقة الثانية عشرة من طبقات المعتزلة والتي منها: أبو رشيد سعيد بن محمد النيسابوري، وأبو محمد الخوارزمي، وأبو الفتح الأصفهاني، وأبوحاتم الرازي، وغيرهم، وهذه الطبقة تدين كلها بالولاء لأبرز زعماء الطبقة الحادية عشرة، وبالتحديد لقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الهمداني (ت:415هـ)[3].

وقد كانت مدرسة القاضي عبد الجبار التي شغلت القرنين الخامس والسادس الهجريين في الأغلب تمثل بحق العصر الذهبي للمعتزلة التي تم تقسيم طبقاتها إلى اثنتي عشرة طبقة، وتأتي أهمية الملاحمي(ت:536) والزمخشري صاحب الكشاف(ت:538) من بعده، من حيث إنهما كانا إضافة كبيرة لمدرسة القاضي عبد الجبار، فقد جعلا مدرسة المعتزلة حيةً ومزدهرةً طوال القرن السادس الهجري، ولقد كانت هذه الفترة من الفترات المشرقة في حياة المسلمين من حيث العلم والمعرفة؛ بل إنها تُعدّ- تاريخياً-العصر الذهبي الذي قاد فيه المسلمون الحضارة الإنسانية طوال ما يربو على ستة قرون[4].

شيوخه وتلاميذه: لم يذكر المؤرخون الذين ترجموا للإمام الملاحمي تلاميذه وطلابه الذين درسوا عليه، ولا شيوخه الذين قاموا بتدريسه، غير أن الإمام يذكر في كتابه الفائق أبا الحسين البصري(ت:436)[5] بلفظ: "شيخنا" وقد وافقه على معظم ما ذهب إليه من آراء، اللهم إلا بعض الخلافات الهامشية التي لا يقف الباحثون عندها كثيراً، ويبدو أن أبا الحسين البصري كان من أنجب تلاميذ القاضي عبد الجبار، الأمر الذي جعله من أشهر تلاميذه بسبب مؤلفاته من جهة، وبسبب تلاميذه الذين خلدوه من جهة ثانية، ومن هؤلاء التلاميذ الإمام محمود الملاحمي، وهذا ما أشار إليه

---

(1) ينظر: طبقات المعتزلة، لابن المرتضى، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص105، مفتاح السعادة، طاش كبرى زاده، القاهرة، 1968، 22/2، مذاهب الإسلاميين، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، 1971، 212/1، مجلة اللغة العربية بدمشق، العدد57 لعام1982م، ص78.

(2) ينظر: مقدمة المحقق، د. فيصل عون، ص6-7

(3) ينظر: طبقات المعتزلة ص112-115.

(4) ينظر: طبقات المعتزلة ص119.

(5) هو أبو الحسين محمد بن علي البصري أستاذ للملاحمي، لكن الأهم أنه من أنجب تلاميذ القاضي عبد الجبار، حيث درس ببغداد وكان جدلا، وقيل إنه كان أوفر أتباع القاضي عبد الجبار حظاً من دراسة الفلسفة وعلوم الأوائل، من أهم أعماله: المعتمد في أصول الفقه، تصفح الأدلة، كتاب الغرر، نقض الشافي، توفي سنة436هـ.ينظر: الأعلام للزركلي275/6، ومذاهب الإسلاميين، عبد الرحمن بدوي394/1.

ابن المرتضى في الموضوع نفسه حيث ذكر أن من تلاميذ الحسين البصري الشيخ النحرير محمود بن الملاحمي مصنف المعتمد الأكبر[1].

مؤلفاته:

ذكرنا- فيما سبق-أن حياة الملاحمي اكتنفها الغموض، فليس ثمة ترجمة كاملة لا عن الرجل ولا عن مؤلفاته، ومن ثم فإنّ من المحتمل أن تكون بعض أعمال الرجل قد فقدت أو ضاعت، ومن المحتمل أن يكون بعض أعماله قد نسب في مرحلة لاحقة إلى بعض رجالات المعتزلة اللاحقين له، والمعدودين من جملة تلاميذه، ولهذا سوف نورد ما ذكره المؤرخون من أسماء مؤلفات الملاحمي وما أجمعوا عليه وهي كما يلي:

1- "المعتمد في أصول الدين"(أربعة مجلدات)

2- "الفائق في أصول الدين".

3- "تحفة المتكلمين في الرد على الفلاسفة".

4- "جواب المسائل الأصفهانية".

5- "كتاب الحدود".

6- "كتاب التجريد"(وهو تلخيص مختصر لكتاب "المعتمد" في أصول الفقه لأبي الحسن البصري)[2].

وفاته:

فمن الثابت تاريخياً، وطبقاً لما ذكره الرهط الأكبر من المؤرخين والباحثين أن الملاحمي توفي سنة536هـ، هذا هو التاريخ الذي أجمع عليه جُلُّ من كتب عن الملاحمي، الذي ذكر بنفسه أنه فرغ من كتابة الفائق ليلة الأربعاء وهي السابعة من شهر ربيع الآخر سنة ثنتين وثلاثين وخمسمائة(532هـ)[3].

المطلب الثاني: التعريف بكتاب "الفائق في أصول الدين"

يذكر الإمام الملاحمي في بداية كتابه سبب تأليفه فيقول ما نصّه: "فإنّي لما صنفتُ كتاب "المعتمد في الأصول" وبالغتُ في إيراد حجج دين الإسلام مفصلةً وعلى الوجوه التي يعتمد عليها، وإيراد مذاهب كل من خالف الإسلام مفصلة، وما يعتمدونه من الشُّبه ومذاهب المختلفين في تفاصيل الإسلام بعد اتفاقهم على جملته، طال لذلك الكتاب حتى كبر على مجلدات، وشق على كثير من الراغبين فيه كتابته وتحصيله، فعند ذلك طلب مني الأصحاب والإخوان ومن أعظِّم حقهم وأرفع منزلتهم من الخِلَّان، أن أستخرج من المطوّل مختصراً شاملاً يحمل مضمونه يجري مجرى المدخل في ذلك المطوّل، ويجري المطوّل مجرى الشرح لهذا المختصر، فأمليتُ ما رسموه، وأجبتهم إلى ما طلبوه، وسميته" الفائق في أصول الدين" وتضرعتُ إلى الله في أن يزيد في المهل ويحقق الأمل في إتمامه ويعينني على تسهيل مرامه، وأن يجعله لوجهه خالصاً ويعظم النفع به لي ولإخواني في الدارين، إنه تعالى نعم المستعان وعليه التكلان"[4].

---

(1) ينظر: طبقات المعتزلة ص119، وينظر: الفائق في أصول الدين للملاحمي ، ص57.

(2) ينظر: مذاهب الإسلاميين، عبد الرحمن بدوي، 67/1، ومقدمة كتاب الفائق، للمحقق فيصل عون، ص12.

(3) ينظر: طبقات المعتزلة، ص120، ومفتاح السعادة، 34/2، والفائق في أصول الدين، ص6.

(4) الفائق في أصول الدين، ص31.

وبالرغم من أن موضوع كتاب "الفائق" هو في النهاية "الأصول الخمسة"[1] لفرقة المعتزلة، إلا أن المؤلف تطرق إلى موضوعات أخرى كثيرة، منها: الديانات، والثقافات التي كانت سابقة على الإسلام، حيث وقف المؤلف عليها بقصد الإفادة منها أولاً، ثم نقدها ثانياً، لكي يأخذ ما يأخذه منها وينحي جانباً ما لا يتلاءم مع رؤيته، أضف إلى ذلك أنّ هذا الكتاب ينمُّ عن أن الملاحمي أحاط علماً بكل الفرق الكلامية، وببعض فلاسفة الإسلام، وغنيٌّ عن البيان أن جل زعماء المعتزلة قد ترددت أسماؤهم عشرات المرات في هذا الكتاب، حيث وافقهم حيناً واختلف معهم حيناً آخر، حيث نقد بعضهم بأسلوب ينم عن أدب في الحوار، واحترام وجهة نظر الآخر دون إقصائه أو الاستخفاف برأيه، وذلك كله جاء من خلال لغة علمية رصينة لا تنقصها الدقة والجمال، كما لا تنقصها النزعة العقلية التي جعلت صاحبها يصول ويجول في فهمه للآخرين وللنص طبقاً لرؤية اعتزالية مستنيرة تعطي للعقل حقه، وتعطي للنص قداسته في آن واحد[2].

والجدير بالذكر هنا أن كتاب الفائق ليس كله تلخيصاً لكتاب "المعتمد" فثمة أبواب كثيرة تربو على ثلثي كتاب الفائق لا وجود لها في كتاب "المعتمد"، من هذه الأبواب نجد مثلاً: الكلام في العدل، الكلام على القائلين بالكسب، الكلام في خلق القرآن، كما جاء في الفائق باب كبير عن "الإمامة" والغرض منها وشروطها والطريق إلى إثباتها..... وذلك كله لا وجود له في المعتمد، وهذا بطبيعة الحال يعطي قيمة كبرى لأهمية الكتاب؛ لأنه ليس ترديداً أو تلخيصاً لكتاب المعتمد فقط؛ بل إن الملاحمي كان في هذه الموضوعات مؤلفاً ومجدداً ومبتكراً.

وفضلاً عما سبق من حديث عن أهمية كتاب الفائق بالنسبة للملاحمي كمتكلم معتزلي كبير، نجد أن تأثير الرجل الفكري امتد طوال القرن السادس الهجري وما بعده حيث ساعد بصورة فعالة ونشطة على استمرار حركة الاعتزال حتى بعد رحيل الزعماء الكبار في القرن الخامس الهجري[3].

❁❁❁

المبحث الثاني: أبرزُ الآراء التفسيرية للإمام الملاحمي

بالرغم من أن موضوع كتاب الفائق هو في الأساس علم الكلام وما يتعلق به من مسائل في الإلهيات والسمعيات والنبوات، لكن الملاحمي قد ذكر في كتابه تفسيراً لكثير من الآيات القرآنية التي استشهد بها للدلالة على رأيه ومذهبه، وهذا التفسير يمثل رأياً خاصاً للإمام الملاحمي حول تفسير الآية كما سنرى في هذا المبحث، وأحياناً يكتفي بذكر أقوال المفسرين الذين سبقوه في تفسير الآية مع ترجيح أحد هذه الأقوال ، وأحيانًا ينتقد هذه الأقوال ويفسر الآية تفسيراً يوافق مذهبه الذي اختاره ورضيه، وقد لوحظ هذا في تفسيره لكثير من الآيات التي ذكرها في كتابه الفائق، وفي مختلف المواضيع والمسائل التي تعرض لها في كتابه، وقد وجدتُ مادة تفسيرية بشكل وافرٍ في هذا الكتاب، لكني سأقتصر في هذا المبحث على نماذج ومسائل تبرز مكانة الملاحمي كمفسرٍ للقرآن الكريم، له في التفسير باع طويل، وأيضاً لنعرف هل تأثر الملاحمي بمفسري المعتزلة الذين قبله، وهل سار على نهجهم في تأويلهم للآيات القرآنية لكي توافق مذهبهم الإعتزالي أم لا؟ وأياً كانت النتيجة ، فإن هذا التفسير لا يقلُّ أهمية على تفسير القاضي عبد الجبار

---

(1) الأصول الخمسة لفرقة المعتزلة تمثل أصول مذهبهم وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ينظر الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، 1977، ص28، وينظر الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، دار المعرفة، بيروت، 42/1.

(2) ينظر: مقدمة الكتاب، للمحقق فيصل عون ص11.

(3) المصدر السابق ص20.

(شرح الأصول الخمسة) ولا تفسير الزمخشري(الكشاف) وهو يُعدُّ إضافة كبرى تضاف إلى تفاسير المعتزلة، ويمثل مساهمة فعَّالة لإحياء تراثها، وهذا ما سنلاحظه من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: نفي رؤية الله في الآخرة:

هذه المسألة من المسائل العقدية البارزة في الفكر الاعتزالي، وهي تندرج عندهم تحت أصل "التوحيد" وهي من مواضيع الخلاف بين الفرق الإسلامية، فقد ذهبت المعتزلة والزيدية والخوارج وأكثر المرجئة إلى أن الله تعالى لا يرى بالأبصار في الآخرة، وذهبت المجسمة إلى أن الله تعالى يُرى في الدنيا والآخرة، وذهب جمهور أهل السنة إلى أن الله تعالى يرى في الآخرة[1].

والأساس الذي بنى عليه المعتزلة نفي الرؤية هو نفي الجسمية عن الله تعالى، وذلك لأن القول بإمكان الرؤية يقتضي- في نظرهم- الجسمية والجهة والضوء، وذلك كله محال في جنب الله، وهذا أيضا في نظرهم يتفق مع تنزيههم الله عن كل معنى من معاني التشبيه والتجسيم[2].

وقد تبع الملاحمي شيوخه المعتزلة في هذه المسألة فذهب إلى القول بنفي رؤية الله في الآخرة، واستدل على ذلك بآيات قرآنية، وحاول أن يوجهها ويستدل بها على ما يوافق مذهبه وعقيدته، فمن هذه الآيات قوله تعالى:﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾[3] حيث أخذ الإمام الملاحمي بظاهر الآية الدال على النفي العام لحصول الرؤية، ثم أوَّلَ الآية تأويلاً عقلياً يتفق مع منهجه في نفي الرؤية، فيقول في تفسيره للآية "ووجه الاستدلال بهذه الآية هو أن الآية خرجت مخرج المدح له بنفي الإدراك عن ذاته، والإدراك بالبصر ليس إلا الإحساس به، وما كان مدحاً ينفي صفة عن الذات؛ فإن إثبات تلك الصفة له يكون نقصاً، والنقص عليه تعالى مستحيل في الدنيا والآخرة، وإنما قلنا إن الآية خرجت مخرج المدح لأن ذلك يفهم من ظاهرها"[4] ثم يستدل الملاحمي بأقوال السلف وبأهل اللغة على أن الإدراك بالبصر ليس له معنى إلا الرؤية، فيقول في تفسيره للآية: "وعن عائشة أنها سمعت قول من قال إن محمداً رأى ربه ليلة المعراج، فقالت: لقد قُفَّ شعري مما قلت، وتلت قوله تعالى :﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ فصحّ أن هذا هو المفهوم منه في لسانهم؛ ولأن الإدراك في الأصل هو لحوق جسم بجسم، ثم يستعمل على جهة الاستعارة والتشبيه بذلك في غير الأجسام كإدراك القدر والثمرة والغلام والرؤية كان البصر وشعاعه الذي هو تمام له يلحق المرئي، ولأنه لا يصح النفي بأحد هذين اللفظين والإثبات بالآخر، فلا يصح أن يقال أدركتُ ببصري شخصاً ولم أره، وهذا هو الدلالة التي نعلم بها أن معنى اللفظين واحد"[5].

---

(1) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الظاهري، دار المعرفة ، بيروت، 2/3.

(2) ينظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاضي عبد الجبار بن أحمد، تحقيق الدكتور محمد مصطفى حلمي، الدار المصرية، 140/4.

(3) سورة الأنعام، الآية: 103.

(4) الفائق في أصول الدين، للملاحمي ص91.

(5) الفائق في أصول الدين، ص92.

فالملاحمي هنا يستشهد باللغة ليثبت أن الإدراك في الآية ليس له معنى إلا الرؤية بالبصر ليصل بذلك إلى نفي الرؤية، وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن المنفي في الآية هو الإحاطة والشمول لا مجرد الرؤية، فلم يقل سبحانه لا تراه الأبصار، وإنما قال "لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ" والإدراك معنى يزيد على الرؤية، فإن الإدراك ينبئ عن الإحاطة ودرك الغاية، والله سبحانه وتعالى مقدس عن الغاية والنهاية[1].

ومن الآيات التي استشهد بها الملاحمي في مسألة الرؤية وتبع فيها شيوخه من المعتزلة قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي ﴾[2] يرى الملاحمي أن جواب الله تعالى لموسى عليه السلام بقوله "لن تراني" دليل على امتناع رؤية الله تعالى في الآخرة، لأن حرف(لن)على حد قوله لا يذكر في مثل هذا الموضع إلا في الأمر الميؤوس منه الذي لا ينبغي أن يكون، واستدل على هذا التوجيه اللغوي بآيات قرآنية تدعم رأيه منها قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾[3]، وقوله تعالى:﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾[4]، ثم إظهار الله تعالى الأهوال بعد هذا السؤال من جعل الجبل دكاً حتى خرَّ موسى صعقا، وإنزال الصاعقة، وإحراق من سأل الرؤية يدل على أنه أمر مستحيل عليه تعالى[5].

ويذكر الملاحمي تأويلاً آخر للآية وينقله عن علماء المعتزلة وهو أنهم حملوا سؤاله عليه السلام على سؤال المعرفة الضرورية التي تبطل معها الشبهات وتزول معها الوساوس، فمعنى قوله: أرني أي مكِّني من رؤية ما أعرفك عنده معرفة جلية، كما تقول لغيرك: أرني ما عندك، أي مكِّني من رؤيته، ومعنى قوله: "أنظر إليك" أي أنظر إلى آية من آياتك التي عندها تحصل لي المعرفة الجلية، لأنه أضاف النظر إليه تعالى وذلك مستحيل فيه تعالى، فعلم أنه أراد أن يريه آية ينظر إليها فيعرفه عندها[6].

وهذا التأويل للآية يدل على سَعَة اطلاع للملاحمي، ونبوغه الفكري والعقلي، وتمكنه من مختلف العلوم وبخاصة علوم العربية.

كذلك من الآيات التي خرج بها الملاحمي عن معناها الظاهر في مسألة الرؤية قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾[7] حيث يرى الملاحمي أن النظر في اللغة ليس هو الرؤية وإنما هو طريق الرؤية، وهو تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئي التماساً لرؤيته فلهذا يصح أن يعقب بنفي الرؤية، فيقال: نظرتُ إلى الهلال فلم أره، ويجعل الرؤية

---

(1) ينظر: جامع البيان عن تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، ضبط وتعليق: صدقي جميل العطار، دار الفكر، 1995م، 4/461-463.

(2) سورة الأعراف، من الآية: 143.

(3) سورة سبأ، من الآية: 31.

(4) سورة البقرة، من الآية: 55.

(5) ينظر: الفائق في أصول الدين ص99-100.

(6) ينظر: الفائق، ص100.

(7) سورة القيامة، الآيات: 22-23.

غاية للنظر، فيقال: ما زلتُ أنظر حتى رأيت، ويوصفُ النظر بالشزر والازورار، فيقال: نظر إليّ نظراً شزراً ومزوراً، ويقال: نظر راضٍ ونظر غضبان، وكل ذلك لا يصحُّ في الرؤية، فصح أنه غير الرؤية[1].

ودائماً تجد المعتزلة في كل مسألة الأساس الأول الذي يبنون عليه عقيدتهم هو تقديسهم لسلطان العقل، فما تصوره العقل قبلوه، وما لم يحكم به العقل ردوه، فالعقل-كما يرون- لا يجيز رؤية العباد لربهم جل جلاله، لأن الرؤية -في نظرهم-تقتضي الجسمية والجهة والضوء، وذلك كله محال في جنب الله، وهذا أيضاً-في نظرهم-يتفق مع تنزيههم الله عن كل معنى من معاني التشبيه والتجسيم، لهذا نجد الملاحمي كغيره من شيوخ المعتزلة يحاول أن يبعد المعنى الظاهر للآية والذي يثبت رؤية الله تعالى، فيذكر أن السلف قد أولوا الآية بوجهين: أحدهما أن المراد بها ينتظرون الثواب من ربهم، وهذا رُوي عن ابن عباس وابن صالح ومجاهد، فيذكر الملاحمي أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فقال ابن عباس: هو الذي لا شبه له ولا نظير، ولا ينظر إلى أهل النار برحمته، وأهل الجنة ينتظرون رحمته وكرامته[2].

والتأويل الثاني: أنها تنظر إلى ثواب ربها من الحور العين والقصور والملابس، وعلى هذا التأويل-على رأي الملاحمي-أسقط المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، كقوله تعالى:﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾[3] وهذا التأويل رُوي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما، فعن حفص بن يزيد الثقفي قال: سمعتُ مجاهداً وقتادة يحدثان عن ابن عباس في قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قال: إلى ثواب ربها ناظرة، وعن منصور قال: سألتُ مجاهداً عن قوله تعالى﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قلت: يزعمون أنهم يرون الله تعالى، قال: كذبوا، أليس الله تعالى يقول: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ قلت: فما معنى قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قال: إلى ثواب ربها ناظرة[4].

فالملاحمي استبعد ظاهر النص القرآني بتأويل مضاف محذوف تقديره (إلى ثواب ربها) حتى يتفق تفسيره مع مذهبه في نفي الرؤية.

وأما بالنسبة لما ذكره الملاحمي من أقوال للسلف تنفي رؤية الله تعالى، فهذا يرده الأحاديث الصحيحة المتواترة عن النبي -ﷺ- في إثبات رؤية الله المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة والتي منها ما رواه جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال :كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامُّون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا» [5] وما رواه جرير أيضاً عن النبي -ﷺ- أنه قال: « إنكم سترون ربكم عياناً» [6] ومنها ما رواه عدي بن حاتم

(1) ينظر الفائق، ص96.

(2) المصدر السابق، ص97.

(3) سورة يوسف، من الآية: 82.

(4) ينظر: جامع البيان، 72/24وينظر الفائق، ص99.

(5) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى "وجوه يومئذ ناظرة "رقم الحديث 7434، 453/4.

(6) المصدر نفسه، حديث رقم:7435، 453/4.

حاتم –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –ﷺ–:« ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه» [1].

المطلب الثاني: خلق القرآن

من المسائل الكبرى عند المعتزلة التي أدَّت إلى أعظم محنة في تاريخ الفكر الإسلامي قولهم أن القرآن كلام الله محدث مخلوق[2]، بناء على قولهم بنفي الصفات، وموقف المعتزلة من مشكلة "كلام الله "أو" خلق القرآن" فرع من تصورهم للتوحيد، ذلك إن إنكار الاعتقاد بخلق القرآن يعني إثبات قدمه، وكل ما هو قديم فهو إله، فانفراد الله بالألوهية يقتضي انفراده بالقدم والقول بحدوث القرآن أو خلقه[3].

وربما كانت الظروف التي أحاطت بالمعتزلة في ذلك الوقت سبباً في الاعتقاد بخلق القرآن، فقد خشي المعتزلة أن يضاهي المسلمون–حين يعتقدون بقدم كلام الله أو بالأحرى قدم القرآن–المسيحيين إذ يعتقدون بقدم كلمة الله، ومن ثم ألوهية المسيح، لقد توهم المعتزلة أن القول بقدم القرآن يترتب عليه أن يحل القرآن في نفوس المسلمين مكانة المسيح من النصارى إذ كلاهما: القرآن والمسيح كلمة الله[4].

وهذا يرجع إلى مذهبهم في التنزيه المطلق لله عز وجل، منزهين إياه تنزيهاً لم تبلغه فرقة من فرق المسلمين كما هو الحال لدى المعتزلة "مذهب التنزيه الخالص".

وقد ذكر الملاحمي هذه المسألة في كتابه الفائق تحت عنوان "الكلام في خلق القرآن" وقد سار على نهج أسلافه من المعتزلة في القول بأن القرآن مخلوق كسائر أفعال الله عز وجل، وهذا ما دعاه إلى تفسير الآيات القرآنية التي استشهد بها في هذا الموضوع تفسيراً يتفق مع مذهبه الاعتزالي، فعند حديثه عن قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾[5] يؤكد الإمام الملاحمي أن الذكر هنا بمعنى القرآن، ويستدل على ذلك بآيات قرآنية تبين صحة إطلاق لفظ (الذكر) على القرآن وأنه من مسميات القرآن منها قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾[6] وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾[7] وإذا صحَّ أن القرآن ذكر، وثبت بموجب ظاهر الآية أن الذكر محدث، فقد وجب القول بحدوث القرآن[8]. فانظر كيف وظَّف الإمام الملاحمي الأصل الأول من أصول التفسير وهو تفسير القرآن القرآن بالقرآن لنصرة مذهبه وعقيدته.

ويرى أن تفسير الذكر بالرسول –ﷺ– بعيد، لأن الله تعالى يقول في نفس الآية ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ فدل على أن المراد بالذكر القرآن[9].

---

(1) المصدر نفسه، حديث رقم:7443، 459/4.

(2) ينظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار بن أحمد، حققه وقدم له، عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة، 1996م، ص528.

(3) ينظر: في علم الكلام، دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين، أحمد محمود صبحي، دار النهضة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1985ف، 132/1.

(4) المصدر نفسه134/1.

(5) سورة الأنبياء، من الآية: 2.

(6) سورة يس، من الآية: 69.

(7) سورة الأنبياء، من الآية: 50.

(8) ينظر: الفائق، ص232.

(9) المصدر نفسه ص233.

ثم يدافع الإمام الملاحمي على مذهبه الاعتزالي، ويرد على كل تأويل للآية يخالف ما ذهب إليه، فيرد على توجيه أهل السنة للآية بأن المراد بالمحدث هنا هو الكلام المركب من الحروف والأصوات، وهذا مما لا نزاع فيه؛ بل حدوثه معلوم بالضرورة، وإنما النزاع في كلامه النفسي القديم، فيرد الإمام قائلاً: "فأما من قال: إن كلامه ليس من جنس الحروف والأصوات، وإنه شيء واحد لا يتجزأ فقد قال بما لا يعقل، وخرق إجماع السلف، وأعرض عما يعرف من دين النبي صلى الله عليه وسلم باضطرار، لأن الصحابة ومن بعدهم وكذلك العلماء في كل عصر لو سئلوا عن كلام الله لما أشاروا إلا إلى هذا القرآن المتلو في المحاريب، المكتوب في المصاحف"[1].

ومن الآيات التي يرى الإمام الملاحمي أنها توافق مذهبه في خلق القرآن قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[2] فمن المعلوم في اللغة أن الجعل إذا عدي إلى مفعول واحد كان ظاهره الخلق، وإذا عدي إلى مفعولين كان ظاهره الحكم والتسمية في غالب الاستعمال، ولذلك لا يجوز أن يقول القائل: جعلت النجم والرجل ويسكت حتى يصله بقوله: علت النجم هادياً ودليلاً، وجعلت الرجل صديقاً وصاحباً، فلما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ تعدى إلى مفعولين فيكون بمعنى الحكم والتسمية، لكن الملاحمي يحيد عما اشتهر استعماله في اللغة وينتصر لمذهب أسلافه وشيوخه من المعتزلة الذين فسروا الجعل في الآية بمعنى الخلق والمعنى: أي خلقناه عربياً غير عجمي إرادة أن تعقله العرب[3]. ووصف الله تعالى القرآن بأنه محكم، ومفصل، وآيات عربي، وناسخ، ومنسوخ، وحديث، دليل على أنه ليس بقديم؛ لأن كل ذلك من صفات الأفعال[4].

وأنت ترى في هذه الآية –وفي الآيات التي ذُكرت سابقاً–أهمية اللغة في التفسير عند المعتزلة خصوصاً الآيات التي تصادم بعض أصولهم، فيحاولون أولاً إبطال المعنى الذي يرونه مشتبهاً في اللفظ القرآني، ثم يثبتون لهذا اللفظ معنى موجوداً في اللغة يزيل هذا الاشتباه ويتفق مع عقيدتهم ومذهبهم.

المطلب الثالث: المنزلة بين المنزلتين "الأسماء والأحكام"

تُعَدُّ هذه المسألة الأصل الرابع من أصول المعتزلة، ويعرّفونها بأنها العلم أن لصاحب الكبيرة اسماً بين الاسمين وحكماً بين الحكمين لا يكون اسمه اسم الكافر، ولا اسم المؤمن؛ بل يفرد له حكماً ثالثاً وهو المنزلة بين المنزلتين، ولذا سميت هذه المسألة بمسألة "الأسماء والأحكام" أي بم يسمى صاحب الكبيرة وما الحكم عليه[5].

ومسألة "مرتكب الكبيرة" إحدى أهم المسائل الكلامية الخطيرة التي اختلفت فيها الفرق الإسلامية وتعددت المواقف بإزائها، فأهل السنة والجماعة يرون أن مرتكب الكبيرة مؤمن، ولا يكفر بذنب صغر أو كبر إلا ما كان شركاً أو إنكاراً لمعلوم من الدين بالضرورة، فكبيرته لا تخرجه عن الإيمان ولا تدخله في الكفر ولكنه يعاقب عليها بقدر الذنب ولا يخلد في النار[1].

---

(1) المصدر نفسه ص233.

(2) سورة الزخرف، من الآية: 3.

(3) ينظر: الفائق، ص232.

(4) المصدر نفسه، ص232.

(5) ينظر: شرح الأصول الخمسة، ص697.

وذهبت الخوارج إلى تكفير أهل الكبائر ولم يفرقوا بين ذنب وذنب، وذهبت المرجئة إلى أن مرتكب الكبيرة مؤمن، وأن الإيمان وحده هو عمود الدين وليس العمل؛ فلا يضر مع الإيمان معصية، ولا ينفع مع الكفر طاعة[2].

وذهبت المعتزلة إلى أن صاحب الكبيرة لا يكون مؤمناً ولا كافراً ولا منافقاً؛ بل يكون فاسقاً وفي منزلة بين المنزلتين، لكنهم يتفقون مع الخوارج في تخليد أهل الكبائر في النار إذا خرجوا من الدنيا من غير توبة، ولهذا سُمُّوا "بمخانيث الخوارج" وذلك لأنهم من جهة يقولون إن مرتكب الكبيرة فاسق وهو في منزلة بين منزلة المؤمن والكافر، ومن جهة أخرى يسوُّون بينه وبين الكافر في الخلود في النار، وهو أمر لا يخلو من غرابة[3].

هذا مجمل كلام المعتزلة في مرتكب الكبيرة، وقد سار الإمام الملاحمي على نهج المعتزلة عند تفسيره لكثير من الآيات القرآنية المتعلقة بهذا الموضوع والتي منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[4] فظاهر الآية يوحي أن الله عز وجل لا يغفر كبيرة الشرك ويغفر جميع الكبائر الأخرى لمن يشاء هذا مع عدم التوبة، وأما مع التوبة فكلاهما مغفور، وهو مذهب أهل السنة والجماعة[5].

أما المعتزلة فإنهم يسوّون بين الشرك وبين ما دونه من الكبائر في أنّ كل واحد من النوعين لا يغفر بدون التوبة ولا يشاء الله أن يغفرهما إلا للتائبين، ولذا فإن ظاهر الآية لا يتفق مع مذهبهم، فنرى الملاحمي يعلق نفي المغفرة بالمشيئة في قوله تعالى "لمن يشاء" فيجعل الفعل المنفي "لا يغفر" والمثبت "يغفر" جميعاً موجهين إلى قوله تعالى "لمن يشاء"، ثم يقدر أن المراد بالنفي من لم يتب، وبالإثبات من تاب دون أن يكون هناك ذكر للتوبة في هذه الآية[6].

ثم يذكر الإمام الملاحمي تأويلاً آخر للآية، ويرى أن هذا التأويل يسقط به جميع ما ذكروه في الآية من تفسيرات تخالف مذهبهم وهو أنه ليس المراد بالمغفرة المذكورة في الآية هو إسقاط عقاب المستحق للعقاب، أي (إسقاط العقوبة)، وإنما المراد بها تأخير العقاب المعجل في الدنيا، ويستدل الملاحمي على ورود هذا المعنى للمغفرة بآيات قرآنية منها قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَ ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾[8] وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡ ﴾[9] أي لا يعجل عقابهم مع ظلمهم، فيكون معنى الآية –كما يرى الملاحمي–: إن الله لا يؤخر عقاب الشرك به تعالى ، ولا يعجل عقاب ما دون الشرك من الكبائر بل يؤخره[10].

---

(1) ينظر: الملل والنحل 42/1.

(2) ينظر: الفرق بين الفرق، ص82

(3) المصدر نفسه، ص82.

(4) سورة النساء، الآية: 116.

(5) ينظر: التفسير الكبير، للإمام فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م، 100/10.

(6) ينظر الفائق، ص562-563.

(7) سورة الكهف، الآية: 58.

(8) سورة فاطر، الآية: 41.

(9) سورة الرعد، من الآية: 6.

(10) ينظر: الفائق، ص563.

ومن الآيات القرآنية التي أوَّلها الملاحمي قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1] ﴿ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1]

فظاهر الآية يفيد العموم في أنَّ كل من لم يحكم بما أنزل الله تعالى فهو كافر، ويوهم صحة قول الخوارج في تكفير صاحب الكبيرة، وهو ما لا يقوله المعتزلة، ولا يوافق مذهبهم، فلابد من تأويل الآية، لذلك يرى الملاحمي أن هذه الآية واردة في اليهود فقط، لأنها جاءت بعد قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾[2] وإن كانت عامة بظاهرها فإنَّنا نخصها بهم للدلالة التي ذكرناها، وهذا يقتضي أن معنى الآية:(من لم يحكم بما أنزل الله من اليهود فهو كافر) [3].

ويذكر الملاحمي وجه آخر في اختصاص اليهود بالآية وهو أنه تعالى لما قدم قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾، ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾، أي بالذي أنزله الله في التوراة، لأن ما أنزله تعالى ينصرف إلى المذكور، وهو المنزل في التوراة، والذين وجب عليهم الحكم به هم اليهود، لأن أمتنا ليسوا متعبدين بالحكم به، فكيف يكفرون من ذلك وقد بيَّنا أن المتعبدين بالحكم بما أنزل الله به هم اليهود فيختص فيهم الحال لشرط الحكم بينها، فالذين كفروا بترك الحكم به هم اليهود[4].

وخلاصة القول أن الإمام الملاحمي كان يفسر القرآن الكريم متأثراً بمذهبه الإعتزالي، آخذاً بأقوال مفسري المعتزلة المعتبرين أمثال القاضي عبد الجبار، معتمداً على اللغة بشكل كبير في بيان المراد من الآية، فمعرفته للغة العرب وأساليبها ومدلولاتها خدمته كثيراً في تفسيره واختياراته التفسيرية.

❁❁❁

الخاتمة

في نهاية هذا البحث يمكن لنا أن نسجل النتائج التالية:

- البحث عن الشخصيات المغمورة أمثال الإمام الملاحمي، وإظهار نتاجه العلمي وإحياء تراثه الفكري يُعدُّ من الأعمال المهمة في مجال البحث العلمي.
- النضج العقلي وقوة البيان اللغوي جعل للمعتزلة قدماً راسخاً في تفسير القرآن الكريم.
- اعتمد الملاحمي في تفسيره للآيات القرآنية على القرآن الكريم أولاً كمصدر أساس في تفسير القرآن، ثم السنة النبوية، ثم أقوال الصحابة والتابعين.
- المبدأ اللغوي كان هو السمة الغالبة على تفسير الإمام الملاحمي، حيث اعتمد على اللغة اعتماداً كبيراً في تأويل الآيات القرآنية حتى توافق مذهبه ومنهجه الذي ارتضاه وسار عليه.

---

(1) سورة المائدة، من الآية: 44.

(2) سورة المائدة، من الآية: 44.

(3) ينظر الفائق، ص623.

(4) ينظر الفائق، ص623.

- يُعدُّ تفسير الملاحمي إضافة جديدة لتفاسير المعتزلة بشكل خاص وللمكتبة التفسيرية بشكل عام.

❁❁❁

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص.

1- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط10، 1992م.

2- التفسير الكبير، للإمام فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م.

3- جامع البيان عن تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، ضبط وتعليق: صدقي جميل العطار، دار الفكر، 1995م.

4- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبدالجبار بن أحمد، حققه وقدم له: عبدالكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط3، 1996م.

5- صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.

6- طبقات المعتزلة، لابن المرتضى، دار مكتبة الحياة، بيروت.

7- الفائق في أصول الدين، محمود بن محمد الملاحي، حققه وقدم له:د. فيصل بدير عون، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010م.

8- الفرق بين الفرق، عبدالقاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1977م.

9- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الظاهري، دار المعرفة، بيروت.

10- في علم الكلام، دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين، أحمد محمود صبحي، دار النهضة العربية، بيروت، ط5، 1985م.

11- مذاهب الإسلاميين، عبدالرحمن بدوي، دار العلم للملايين، ط1.

12- المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاضي عبدالجبار بن أحمد، تحقيق: د. محمد مصطفى حلمي، الدار المصرية.

13- مفتاح السعادة، طاش كبرى زاده، القاهرة.

14- الملل والنحل، محمد عبدالكريم الشهرستاني، صححه وعلق عليه: أحمد فهمي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية.